

الفصل الرابع

الزراعة

١- الأراضي الزراعية

٢- الري

٣- أشكال الزراعة

٤- المزروعات

٥- الضرائب

٦- تربية الحيوان

obeikandi.com

الزراعة

١- الأراضي الزراعية:

تألفت أراضي الدولة الإشكانية من خمسة أقسام أساسية هي:

- ١- الجبال: وتغطي تقريباً ربع مساحة الهضبة الإيرانية، ويعيش أغلب السكان فيها، فالواديان المنحدرة من بين الجبال تشكل المنطقة الرئيسية للإنتاج الزراعي.
- ٢- الصحراء: ولا تصلح للزراعة.
- ٣- ساحل بحر قزوين: يمتد في شريط ضيق بين جبال البورز والبحر، وتنتشر هنا غابات الهضبة الإيرانية، وتعد هذه المنطقة الأكثر أمطاراً في المنطقة.
- ٤- سهل خوزستان.
- ٥- سهول الرافدين الممتدة بين وادي دجلة والفرات وحولهما، وهي الأكثر ملاءمة للنشاط الاقتصادي.

وسيطر الإشكانيون على هذه المنطقة وانتشروا فيها ومارسوا نشاطهم البشري فيها، لما يزيد عن أربعة قرون.

وبين التقسيم السابق أن توزع السكان كان مرتبطاً بالعوامل الجغرافية التي كان من الصعب على الإنسان مقاومتها وتسخيرها لخدمته، فالحياة على الجبال كانت في غاية الصعوبة، ولذلك كان الامتداد الأكثر للسكان على السهول الساحلية والفيضية، الساحلية المرافقة لبحر قزوين، والفيضية التي تتشكل على ضفاف الأنهار، فالسهل حول نيشابور^١ Nishapur، من أكثر الأراضي خصوبة في الهضبة الإيرانية، ويمتد نحو تسعين ميلاً، ويعرض يصل إلى ستين ميلاً، ويعتمد على نهر نيشابور وروافده في الري، وكذلك سهول خراسان وهيركانيا،

(١) نيشابور: تقع نيشابور في إقليم خراسان، واسمها مشتق من نيو شاه بور في الفارسية القديمة، وذلك نسبة إلى الملك شاپور الثاني الساساني الذي جدد بناءها. لسترنج، المرجع السابق،

ناهيك عن سيطرة الإشكانيين على سهول الرافدين¹. وقد وفرت المياه والتربة الخصبة الميزات الملائمة للسكان للعمل بالزراعة أمام ضعف النشاطات الحرفية آنذاك.

من الطبيعي أن تكون ضفاف الأنهار مكان الاستقرار الأساسي للسكان، وذلك لأنها توفر المناخ الملائم للحياة البشرية، من تربة صالحة للزراعة، ومتجددة باستمرار، ومياه وفيرة للحياة البشرية والزراعية، وبالتالي تسهل عملية الزراعة على الإنسان، فيسقي مزروعاته بسهولة دون أية عملية جر أو رفع.

أما الحياة على سفوح الجبال أو بعيداً عن مصادر المياه فتشكل عقبة كبيرة أمام عملية الزراعة التي عدت أساس الحياة في تلك المرحلة ذات المجتمع الزراعي، صحيح أن الإنسان زرع على السفوح الجبلية بعض أنواع المزروعات، لكنها من الأنواع البعلية على الأغلب²، والتي تتحمل البرد والصقيع، كالتفاح وغيره من المزروعات الجبلية، وفي حال استثمار السفوح الجبلية بالزراعة تم شق الأقينية والجداول لتوفير مياه الري.

ولا توجد معلومات غنية عن مكانة الفلاحين الأحرار في الدولة الإشكانية، وكذلك مصدر ممتلكاتهم غير معروف، هل كانت ملكية فردية حرة؟ أم كانت عطاء من الملك؟ أم كانت ملكية خاصة وصلت لهم عبر الإرث؟ أم عمل هؤلاء الفلاحون في أراضي النبلاء مقابل حصة³.

من المرجح أنه وجد لدى بعض الفلاحين ملكية زراعية، وخاصة في سهول الرافدين، ولكن يجب التنويه هنا إلى أن الملوك الإشكانيين عدوا أنفسهم الملاك الوحيدين للأراضي، بناءً على قاعدة الغلبة التي كانت سائدة في معظم أنحاء الشرق القديم، والتي تقوم على امتلاك أراضي الشعوب المغلوبة والنظر لهؤلاء على

1 Rawlinson, op, cit, Volume III, pp8-10.

(2) خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٣.

3 Menasce, J, de, Textes pehlevi sur les qanats, in Iranian Studies Presented to Kaj Barr, Acta Orientalia 30, 1966, pp 167-75. Pigulevskaya, N. V, Economic Relations in Iran during the IV-VI Centuries A.D, Journal of the Cama Oriental Institute, no 38, 1956, pp 60-81.

أنهم أتباع وأحياناً عبيد للغالب. ومن هنا لم تكن مسألة فلاح حر أو تابع أو عبد واضحة المعالم في الفترة الإشكانية.

وشغلت الزراعة دوراً هاماً في الاقتصاد الفرثي^١، وشكلت عاملاً أساسياً فيه فقد عاش عليها أكثر السكان، ومن الصعب تحديد أشكال الملكية الزراعية في الدولة الإشكانية أمام ندرة المصادر وصمت البعض الآخر عن هذه الناحية، لكن من المرجح أنها كانت على عدة أشكال منها أملاك العائلة المالكة، والنبلاء، والأحرار^٢.

وقد وزع الإشكانيون الأراضي على أقاربهم وأصدقائهم، وفق ثلاثة محاور الأول: أراضي الملك التي أديرت بوساطة مستشاريه، والثاني: أراضي المعابد، والثالث: القطاع الخاص^٣.

وكانت العلاقات بين المالكين الجدد والفلاحين العاملين على الأرض غامضة جداً، خاصة أن الجنود الإشكانيين قد امتلكوا الأراضي الزراعية أيضاً، في نهاية خدمتهم العسكرية.

وبناء على وثائق أرشيف نسا^٤ تعود ملكية الأراضي الزراعية إلى:

١- أراضي الملك.

٢- أراضي المعابد.

(1) رضايي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١.

Herrmann, A, Dns Land der Seide and Tibet int Licht der Anlike, Leipzig, 1938, p4.

(2) قدياني، المرجع السابق، ص ١٩٠ - ١٩١.

3 Dandamaev, M, and Lukonin, V. G, The Culture and Social Institutions of Ancient Iran, Cambridge, p130.

(4) نسا: عاصمة الإشكانيين القديمة، تقع قرب عشق آباد في تركمنستان، عثر فيها على فخار

يعود للميديين، وآخر يعود للفترة الإشكانية. فراي (ريجار نلسون)، تاريخ باستاني إيران،

ترجمة مسعود رجب نيا، شركت انتشارات علمي وفرهنگي، تهران، جاب نخست، ١٣٨٢،

ص ٣٣١.

٣- أراضي توضع تحت تصرف الملك لتأمين مصاريق القلاع، وتحت تصرف قادة حدود البلاد.

٤- أراضي العائلات النبيلة التي استمرت تنتقل لهم عن طريق الإرث.

٥- أراضي الأحرار وهي عبارة عن أراضي وبساتين صغيرة^١.

لا يبدو هذا التصنيف مختلفاً عن تصنيف الأراضي الذي ساد في بلاد الرافدين أو مصر القديمة؛ فوجدت أراضي الملك والنبلاء والمعابد منذ زمن بعيد، وعليه قد يكون توزيع الأراضي في الدولة الإشكانية متأثراً بتوزيع الأراضي في المنطقة ككل، والفترة الزمنية المعول عليها، ولا يمكن نفي ذلك؛ لأنه لا يمكن فصل الهضبة الإيرانية عما يجاورها من مناطق، كما لا يمكن نفي العلاقات القائمة بين الطرفين.

وقد عمل الإشكانيون على تنظيم الأراضي الزراعية حيث حسبت بدقة وأعيد توزيعها، فأخذ أفضل الأجزاء الملك، والمعابد، وأقيمت عليها أماكن سكن النخبة العسكرية والموظفين الحكوميين ومشرفي المعابد، وأفراد العائلة الملكية^٢، وكان التعليل المقنع لمثل هذا التصرف أن الملك الفرثي عد نفسه المالك الوحيد لكل الأراضي معارضاً بذلك كل الدلائل التي تشير إلى ملكية أرض ما لشخص ما.

من المرجح أن الملك الفرثي لم يكن بحاجة لتعليل سيطرته على مكان ما دون آخر؛ فهو مالك الأراضي كلها، وهو من يغدق الهبات على كل السكان في مملكته، وبالتالي كانت سيطرته على أفضل الأراضي أمراً طبيعياً، لا يحتاج إلى تعليل من أحد.

(١) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٠ - ١١٨١. دياكونوف، المرجع السابق، ص٩٤. قدياني، المرجع السابق، ص٢١٠.

Andrel, Parthian Ostraka from Nisa, Some Historical data, from the Attidei Convegni Lincei, 1994, Volume 127, p259.

(٢) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٠ - ١١٨١.

Andrel, op, cit, Volume 127, pp258-260. Dandamaev and Lukonin, op, cit, p130.

ويلاحظ في العهد الفرثي غياب الملكية الزراعية الصغيرة شيئاً فشيئاً، وربما يعود ذلك لبداية ظهور النظام الإقطاعي إن جاز التعبير في تلك المرحلة من تاريخ الدولة الإشكانية؛ ففي الحقيقة فقد الملاك الصغار استقلاليتهم تدريجياً نتيجة ضغط أصحاب النفوذ¹.

إن ضغط أصحاب النفوذ أمر معروف في مجتمع زراعي، كانت الزراعة تعد فيه مصدر الثروة والمال، ولما كان المتنفذون قادرين على سلب الفلاحين الصغار أراضيهم، فلماذا يمتلك الفلاحون الأراضي؟. الأفضل أن تعود ملكيتها للمتنفذين من رجال الدولة على أن يعمل بها أصحابها مقابل حصة.

ومما لا شك فيه أن غياب تنفيذ القوانين التي تحد من تعسف المتنفذين كان له دور كبير في تسلط هؤلاء؛ ذلك أنه من غير المرجح أن لا توجد قوانين تنظم العمل الزراعي، وملكية أراضيهم، خاصة أن الدولة الإشكانية سيطرت على بلاد الرافدين ذات السبق في تنظيم الممتلكات والأعمال من خلال مجموعات قانونية عديدة منها قانون حمورابي؛ الذي نظم العلاقة وفرض العقوبات على المخالف. ومن هنا يعتقد أن القوانين؛ وجدت ولكن لم تنفذ بدقة.

ويبدو أن الاستفادة من الأرض كانت كبيرة جداً لدرجة أن معظم أصحاب النفوذ كانوا ملاك الأراضي الزراعية، ومن ناحية ثانية لم يطرأ أي تحول على طرق الزراعة في هذه الفترة، كما لم يتيسر للفلاحين مواكبة التطور الذي أصاب الاقتصاد الزراعي، ربما لتلاشي الملكيات الخاصة وبالنتيجة حصلت جماهير الفلاحين على العمل في الأراضي الزراعية مقابل حصة من الإنتاج، أو ربح قليل².

ربما كان تطور الزراعة بطيئاً فلم يتمكن الفلاحون من مواكبة التطور الاقتصادي وذلك لانعدام العوامل التي من شأنها إعاقة الزراعة، فوجود الإنسان والأرض والماء والاستقرار العام في الدولة كفيل بتطور أساليب الزراعة بمرور

1 Andrei, op, cit, Volume 127, pp258-260. Ball, op, cit, p23. Garsoian, Nina, The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge, 1983, pp571-572.

(2) خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٢.

Garsoian, op, cit, pp571-572. Ball, op,cit, p23.

الزمن، ثم ما العوامل التي أدت إلى تزايد السكان ما دامت عجلة الاقتصاد الأساسية معطلة؟ وكيف وفرت الدولة الإشكالية الغذاء لكل سكانها؟ ثم لماذا يقومون بمشاريع الري؟.

من المرجح أن المقصود هنا هو تأثير الاضطرابات السياسية التي عانت منها الدولة الإشكالية في فترات متقطعة على الزراعة، فعمت الفوضى وتلفت المحاصيل، وردمت القنوات، وهذا يحتاج إلى وقت طويل لإعادة ترميمه، وإصلاحه وتجهيزه للاستثمار.

وشغلت الزراعة دوراً هاماً في الاقتصاد الفرثي، وكان لقلة التغيرات المناخية أثر كبير في ازدهار الزراعة وتنوع منتجاتها، وتدجين أنواع مختلفة من الحيوانات، بالإضافة لذلك ساعد الاستقرار السياسي في القرن الأول قبل الميلاد على نموها وتقدمها، كما ساعد على زيادة عدد السكان¹.

إن الاستقرار السياسي من شأنه التأثير على نمو السكان؛ فالغذاء الأساسي للحرب هو الشباب، والعمود الأساسي لتطور المجتمع هم الشباب، وإذا فقد الشباب تحطم المجتمع وتراجع. ومن هنا يتضح جلياً تأثير الحروب المدمر على النمو السكاني، وإذا علمنا أن عناصر الجيش معظمهم من الفلاحين أدركنا كم هي كبيرة آثار الحروب على القطاع الزراعي.

وكذلك الملكية الحرة الفردية التي تشجع على الاستقرار وبالتالي ينجب الفلاح الأولاد لمساعدته في العمل الزراعي، حتى لا يخضع لسلطة النبلاء، وهكذا يتزايد السكان باستمرار.

وبالانتقال إلى آلية العمل على الأراضي الزراعية فقد استأجر الملاك الكبار أراضي الملك وخاصة في بابل، وعملوا على تأجيرها للملاك الأصغر منهم، الذين بدورهم أجروها للأصغر، وهكذا. أضف إلى ذلك، قيام الملك الفرثي بمصادرة

1 Adams, R. M, Heartland of Cities, Surveys of Ancient Settlement and Land Use on the Central Floodplain of the Euphrates, Chicago, 1981, pp 205-209.

أملاك الحكام الشائرين عليه وتحويلها إلى ممتلكاته، ومما تجدر الإشارة إليه هنا جلب العمال الزراعيين من المناطق المجاورة للعمل في أراضي الملك^١.

إن تصرف الملوك الإشكانيين نحو الشائرين أمر عادي، فمصادرة أملاك هؤلاء لم تكن مقتصرة على الإشكانيين بل سادت في مختلف أنحاء الشرق القديم، وذلك لحرمان هؤلاء من مصدر أموالهم وبالتالي التضيق عليهم، وإخضاعهم، ولما كان المجتمع زراعياً فكانت المصادرة خير وسيلة ضد هؤلاء.

ووزعت مساحات كبيرة من الأراضي المستولى عليها كملكية وراثية بين أعضاء العائلة المالكة، وطبقة النبلاء الإيرانية^٢.

لم يكن هذا التوزيع جديداً، فالملوك من شأنهم كسب الفئات التي تسيطر على المجتمع، وذلك لضمان ملكهم واستمراريتهم، وإلا سيقوم هؤلاء باضطرابات كبيرة مستغلين نفوذهم ومكانتهم في المجتمع، وبالتالي يؤثرون على الملك، وأحياناً قد ينالون من عرشه، فكان توزيع الأراضي والغنائم عليهم أسلوباً حسناً في كسبهم لجانب السلطة، ومباركة قوانينها، وممارساتها.

وفي النتيجة كان نظام المملكة يقوم على ملكية الأرض للملك، فحرث الجنود الأراضي الزراعية التي وزعت عليهم بشكل جماعي أو مقابل أجرتهم^٣، وهكذا يشير الدليل الوثائقي إلى تقسيم الأراضي الزراعية بالدرجة الأولى للملك، والثانية للمعابد، والثالثة للنبلاء، وفيما بعد كانت هناك الملكية الخاصة الصغيرة. وقام الملك ورجال الدين باستئجار العمال والفلاحين للعمل في أراضيهم، وكان هذا الاستئجار على شكلين الأول يتم في فترة الحصاد فقط، والثاني يقوم

(١) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٢. رضايي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١.

Andrel, op, cit, Volome 127, pp258-260.

Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp132-134.

2 Driver, G. R, and Miles, J. C, The Babylonian Laws, Oxford, 1968, Vol 2, Paragraphs L-V, pp 100-112. Hallock, R. T, Persepolis Fortification Tablets, Chicago, 1969, pp88-90.

3 Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp147-148.

على العمل طوال العام^١. أما ذوو الملكية الخاصة فقد اعتمدوا بشكل رئيسي على قدراتهم مع عائلاتهم، واستعانوا بالعبيد في بعض الأحيان، واستتجار العمال اقتصر لديهم على فترات الحصاد^٢.

لا يظهر أسلوب العمل في الأراضي الزراعية فروقاً كبيرة عن العهود السابقة، فقد وجد في العهد الفرثي العمل على الأراضي التي تعود ملكيتها للحاشية أو للملك على شكل مساهمة؛ فيعمل الأشخاص مقابل العديد من الميزات كالأرض أو المال أو الحبوب أو الحيوانات التي يحصلون عليها مقابل طاقة العمل^٣.

بالإضافة إلى عمل الأحرار على الأراضي التابعة للوجهاء والملك، عمل العبيد أيضاً على هذه الأرض، ولكنهم لم يشكلوا القوة الأساسية للإنتاج الزراعي، بل ساهموا فقط في قسم قليل منه^٤.

ولم يكن العبيد يوماً مصدراً أساسياً لأي ركن من أركان الاقتصاد الفرثي؛ فهم على مدى الزمان والمكان مخصصون للأعمال التي يأنف الأحرار من القيام بها، كنقل المياه والخدمة في منازل النبلاء، ولكن أُستعين بهم في العمل الزراعي ربما لتوفير المال، أو نتيجة لنقص العمال خلال أوقات الحصاد^٥.

أما العمل الزراعي فكان من أفضل المهام التي يقوم بها الأحرار، وخاصة أن الديانة الزرادشتية حضت عليه، وجعلته مفضلاً، ويدل على ذلك ما ورد في الديانة الزرادشتية من تعاليم:

(١) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٢.

Andrel, op, cit, Volome 127, pp258-260. Dandamaev and Lukonin, op, cit, p 305.

(٢) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٢. رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١. Dandamaev and Lukonin, op, cit, p 305.

(٣) قدياني، المرجع السابق، ص١٩٢. Andrel, op, cit, Volome 127, p260.

(٤) رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١. قدياني، المرجع السابق، ص١٩٢.

(٥) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٣.

"حينما يأتي موسم القمح تظهر الأرواح الشريرة، وحينما تتضج الذرة ويكتمل نموها، يضعف قلب هذه الأرواح الشريرة، فلا تستطيع البقاء في ذلك المسكن، وتطرد منه وبذلك ينمو القمح ويزدهر".^١

تدل هذه التعاليم على أهمية الزراعة في حياة الإنسان الفرثي، كما تشير إلى مجموعة من المزروعات التي عرفها، وزرعها.

٢- الري؛

اهتم الإشكانيون بالزراعة بشكل ملحوظ، وكانت مسألة الري من أهم المسائل في العمل الزراعي، وخاصة في الأراضي الواسعة، عديمة الأنهار الكبيرة، والدائمة، فوجود الأنهار يساعد وبشكل كبير على تيسير العمل، لكن عندما لا توجد أنهار تروي المزروعات تكون هناك مشكلة حقيقية.^٢

ولذلك قاموا ببناء العديد من الأقنية لجبر المياه إلى المناطق الزراعية قليلة المياه، ويشهد على ذلك بقايا تلك الأقنية التي حفروها تحت الأرض لجبر المياه من المناطق المرتفعة إلى المناطق السهلية المنخفضة، والهدف من ذلك كان زيادة مساحة الأراضي الزراعية بتوفير المياه التي تعد عصب العمل الزراعي.^٣

وعملوا على تحسين وسائل الري؛ فحفروا القنوات التي كانت ملكيتها للملك أو المعابد، وأحياناً لبعض المتنفذين، على الأنهار أو قاموا بجبر المياه من خلالها إلى المناطق الخصب وقليلة المياه، فحولوا البيئة الوحشية إلى جنة، وأثر ذلك على

(١) كاباديا (س، أ)؛ تعاليم زرادشت وفلسفة الديانة الزرادشتية، ترجمة وتقديم خالد جعفر، فُصِّلَت للطباعة والنشر، حلب، سورية، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٨٧.

(٢) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٨١. رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١.

(٣) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٨٢-١١٨٤. دياكونوف، المرجع السابق، ص ٩٥. رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١.

Menasce, op, cit, pp. 167-75. Pigulevskaya, op, cit, no38, pp. 60-81.

(٤) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٨٢. رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١.

Driver, and Miles, op,cit, Vol 2, Paragraphs L-V, pp 100-112. Hallock, op , cit, pp88-90

الإنتاج فازداد الإنتاج وازداد السكان أيضاً، ولم يكن الإنتاج الزراعي مخصصاً للغذاء فقط بل شكل عنصراً أساسياً وهاماً في التجارة الخارجية^١.

من المرجح أن الإشكاليين تأثروا بالشعوب السابقة لهم، فتابعوا أعمالهم من حفر القنوات والعناية بالأرض الزراعية، وذلك لحاجتهم لمنتجاتها في تحريك بلادهم اقتصادياً، ناهيك عما توفره الزراعة من غذاء للشعب، والباقي كان عنصراً أساسياً في التجارة، وهذا يعني أن الفائض عن غذاء السكان يعود نقوداً إلى خزانة الدولة.

وكانت مشاريع الري كثيرة في الدولة الإشكانية، فقد احتفظوا بالقديم، وأضافوا له كثيراً من التحسينات، وتشير الدلائل إلى أنهم استفادوا من مشاريع الري، واستغلوها لتمويل إمبراطوريتهم. وليس أدل على أهميتها من تكليف الملوك للجيش بحفرها وتنظيفها، مما يعكس دورها في حياة الدولة الإشكانية^٢، وكان حفر وتنظيف القنوات ورفع الرواسب منها من مهمة ملاك القرى، أما في مراكز الأراضي الزراعية كالسهول فقد قامت الدولة الإشكانية بحفر القنوات وتنظيفها، ومراقبتها^٣، ففي شوش^٤ مثلاً حُفرت قناة مائية كبيرة، لتتصل مع قناة أخرى ولتروي مساحات واسعة من المناطق الزراعية^٥.

(١) باقر، المرجع السابق، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٢ - ١١٨٤. رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١. سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج٢، ص١٦٩ - ١٧٠.

(٣) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٤.

(٤) شوش: عاصمة عيلام القديمة، تقع بقاياها على الضفة اليسرى لنهر الكرخ، جنوب غربي ديزفول، عرفت لدى اليونانيين باسم سوسة، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم شوش القصر، وشغلت دوراً مهماً في العلاقات الدولية في العصر السومري، اكتشفت فيها مسلة قانون حمورابي، وكثير من النقوش والكتابات باللغة العيلامية. سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج٢، ص٣٨٤ - ٣٨٥.

(٥) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٤. قدياني، المرجع السابق، ص١٩٣.

وقاموا ببناء السدود على الأنهار الموجودة في بلادهم، فكانوا يفتحون السدود في وقت الفيضان، وعند نهاية الفيضان يغلقونها^١، وربما كان ذلك للحفاظ على منسوب المياه في النهر، الذي ربما استخدم لغايات أخرى غير الزراعة.

يبدو أن السدود التي أقامها الإشكانيون هي عبارة عن سدود سطحية تساعد على حصر مياه النهر في وقت الجفاف، وذلك لرفع منسوب المياه المتدني فيه، وبالتالي لتدفق في الأقنية والجداول المقامة على ضفاف النهر التي تنقل المياه إلى الأراضي الزراعية ولذلك عملوا على فتح السدود وقت الفيضان بسبب ارتفاع منسوب المياه وتدفقها طبيعياً في الأنهار والجداول حول النهر، وحتى لا تتضرر الأراضي الزراعية والحقول يفتح السد لتسهيل جريان المياه نحو المصب.

وعلى رغم كل هذه الأعمال سادت الفوضى في الحياة الزراعية بين حين وآخر، ويعزى ذلك إلى آلية الحكم التي اتبعها الإشكانيون، وإقامة الممالك التابعة لهم في البلاد، ومن المعروف أن الاستقرار السياسي من أهم العوامل التي تساعد على ازدهار الزراعة والاقتصاد بشكل عام، ومن هنا كان ملوك الطوائف، أو لحكام المقاطعات الإشكانيين دور في تعثر ازدهار الزراعة وإن كان ذلك بشكل محدود^٢.

وبالإضافة لذلك عملوا على استغلال البلاد التي سيطروا عليها استغلالاً كبيراً، ولتحقيق ذلك أقاموا مشاريع الري والكثير من السدود التي ساعدت على زيادة الأراضي الزراعية واستصلاحها، وبالتالي أدت إلى زيادة الإنتاج الزراعي على اختلاف أشكاله^٣.

وفي العهد الفرثي توافرت مجموعة كبيرة من العوامل التي ساعدت على ازدهار الزراعة، فقد استقرت الأوضاع في عهد الملوك العظام للمملكة الإشكانية كميتراداتيس الثاني، وكذلك دعوة العقيدة الدينية الزرادشتية وما توليه تعاليمها

(1) سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج ٢، ص ١٧١.

(2) سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج ٢، ص ١٧٢.

(3) سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج ٢، ص ١٧٢.

من أهمية للأرض وللزراعة، وكفى دليلاً على ذلك أن عدت الأرض رمزاً مقدساً يجب الحفاظ على طهارته^١.

٣- أشكال الزراعة

وكانت الزراعة في المنطقة على نوعين، الأول: الزراعة البعلية، ومثالها زراعة القمح والشعير، والثاني: هو الزراعة المروية التي وجدت في أماكن زراعة الأرز والخضروات. وسقيت من الينابيع والأنهار والقنوات^٢، وهذا يعني مزيداً من تشابك المصالح، وحاجة ملحة لأشكال وصيغ العلاقات والتنظيم المتآلفة مع الحاجات المستجدة، سواء كانت في حالات تنظيف الأنهار وصيانتها سنوياً، أو تقوية السدود عند الفيضان، وتقاسم كميات المياه في فترة الشح، وقد تبرز هذه الأمور مشكلات في حدود المستفيدين من النهر الواحد وقد تصطدم مع مصالح ورغبات المستفيدين من قناة أخرى. ويعني ذلك بالضرورة، إلى جانب الرغبة الشديدة لتنظيم الأعمال وحسن إدارتها^٣، توفير أسس الحماية من احتمالات تجاوز الآخرين، وبذلك دفعت الضرورات إلى صيغ تنظيمية أكثر تطوراً.

كما كانت هذه الألفية وسيلة دفاع ضد المحتلين، فهذا أردوان الأول عندما هزم أمام اليونانيين، قام بتحطيم ألفية المياه كي تعيق تقدمهم، وكي لا يستفيدوا منها^٤.

وازدادت قيمة العمل الزراعي والأراضي بسبب زيادة الثروة، وسيادة الأمن والاستقرار في الدولة الإشكانية خلال عهد ميثراداتيس الثاني، خاصة أنه استفاد من الإصلاحات التي قام بها سلفه ميثراداتيس الأول، وزاد عليها، فنظم الجيش وسلحه بأحدث الأسلحة المعروفة آنذاك، كما قام باتباع سياسة اقتصادية حكيمة

(١) سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج٢، ص١٧٢.

(٢) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص٢٥٦. خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٣. رضايي،

كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١. قدياني، المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٣. رضايي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص٦٠١.

(٤) قدياني، المرجع السابق، ص١٩٣.

قائمة على تنشيط الزراعة وتلبية متطلباتها، وحماية التجارة وتحقيق الأمن على طرقها، وتحسين المراكز التجارية بين الدولة الإشكانية والإمبراطورية الرومانية.

يعتقد أن عناية الدولة بالشؤون الزراعية يشكل عاملاً هاماً في تطور أساليبها، وتحسين مردودها؛ فالأفراد أياً كانت حالتهم لا يستطيعون فعل شيء أمام الاضطرابات والنزاعات التي أول ما تؤثر، تؤثر على الزراعة ومحاصيلها، وبالتالي توفير الأمن والاستقرار يماثل توفير المياه بالنسبة للزراعة، وهذه مهمة الحكام القادرين على معاقبة المناوئين وكذلك القادرين على حماية الفلاح من تعسف الملاك وجباة الضرائب، وعليه عندما يزرع الفلاح لياكل مع أفراد أسرته، يعتني بالزراعة أكثر مما يزرع لياخذ المتنفذون محصوله.

بالإضافة لذلك نظمت الولايات من خلال مراقبة ولاتها، والعمل على الحد من تسلطهم، وكذلك بإحكام السيطرة على الممالك التابعة من خلال أخذ أبناء حكامها رهائن، فتحد بذلك الثورات المعارضة للسيطرة الإشكانية، كما حدث إمكانية استقلال الممالك التابعة للمملكة¹.

لا شك أن رفع الظلم عن الفلاح وكل العاملين في الزراعة من شأنه أن يبعث الطمأنينة في نفوس الفلاحين ويساعدهم على صرف وقتهم وجهدهم في العمل، وليس في الخوف من الجوع أو السرقة أو الدفاع عن الأرض والمحصول.

وعمل الإشكانيون على النهوض بالزراعة من خلال توفير الأمن والاستقرار في مناطقهم، ومن خلال نقل العمال إليها من البلاد التي يتوسعون على حسابها، أي إن الإشكانيين استخدموا سكان المناطق الخاضعة لهم في العمل الزراعي².

يبدو للوهلة الأولى أنهم حملوا سكان المناطق التي احتلوها ليعملوا في أراضيهم، إن الحقيقة مختلفة شيئاً ما عن ذلك؛ صحيح أنهم استخدموهم في الزراعة ولكن في مناطقهم نفسها، وليس في سواها، وكل ما في الأمر هو أن هؤلاء السكان أصبحوا من أتباع الملك الفرثي مالك أراضيهم بحكم الغلبة.

1 Garsoian, op, cit, pp571-572 Ball, op,cit, p23.

(2) قدياني، المرجع السابق، ص ١٩١.

على أية حال، تحسنت الزراعة بشكل كبير في الفترة الإشكانية، وخاصة في مجال الري وبناء السدود والقنوات وحفر الآبار، وكانت هذه الأعمال منوطة بمجموعات من السكان ولم يكن الفلاحون قادرين على القيام بها بمفردهم، لم يكن هناك بُدٌّ عن هذه الأعمال، سواء لتأمين مياه الشرب للمدن أو لتأمين المياه للزراعة^١، هذا وقد خزن الإشكانيون المحاصيل الزراعية في مخازن ومستودعات، وتذكر هذه الطريقة الجماعية في العمل بالمزارع الجماعية التي يعمل فيها الفلاحون بالنظام المعروف بالعائدية الجماعية الذي ساد في العصر السومري^٢.

فالزراعة، أساساً، عمل جماعي منظم، لا في إنجازهِ فحسب بل في نتائجه أيضاً، كما أن الزراعة توفر في حالة تطورها، فائضاً نسبياً في المنتجات، مما يتيح فرص التخصص في الأعمال، وانصراف البعض للقيام بأعمال أخرى، وتخلق أسس التبادل السلعي في المنتجات المختلفة.

وإن علاقة الزراعة بالأحوال الطبيعية كبيرة جداً، إن هذه الحقيقة تزداد وضوحاً في أحوال الدولة الإشكانية الجغرافية والطبيعية؛ لذلك تطلبت الزراعة في الدولة الإشكانية أعمالاً إنسانية كبيرة ومنظمة بدقة متناهية وصولاً إلى تحقيق النتائج الأساسية المرجوة من العمل الزراعي.

وليس أدل على أهمية الزراعة في حياة الإنسان من تخيله لإله يتجول في الأراضي، ويفدق ببركته على كل جزء من البلاد، وينظم شؤون الماء، ويملاً الأنهار بالماء العذب، ثم ينصرف لتنظيم شؤون البحر والرياح والأمطار ويهتم بالزراعة والحرث^٣.

وقد حفظ الإنسان الفرثي غذاءه في مستودعات ومخازن، أما الباقي فقد تصرف به من خلال مبادلات مع المناطق المجاورة، وكانت الزراعة الشكل

1 Tafazzoli, A, A List of Trades and Crafts in the Sassanian Period, Tehran, 1974, pp 191-96

(2) سوسة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، ج١، ص١٢١.

(3) فرانكفورت (هنري) وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، ١٩٦٠، ص١٨٩.

الاقتصادي السائد في أغلبية أراضي المملكة، حتى الحضريين في المدن عملوا في الزراعة مما يدفع للقول إن المدن الإشكالية اتخذت طابعاً زراعياً.

من الطبيعي أن تأخذ المدن الإشكالية طابعاً زراعياً، فالمجتمع زراعي من الأساس، والزراعة عماد الحياة في تلك المرحلة، بالإضافة إلى ذلك لم يكن التخصص معروفاً فإلى جانب الزراعة وجدت الحرف ووجدت آلية تبادل تجاري ضعيف بين السكان، أما الطابع التجاري أو الحرفي الذي قد يطبع مدينة ما فإذا كان موجوداً فهو غير واضح المعالم.

وتطورت الزراعة بشكل كبير نتيجة لاتساع مساحة المملكة وتعرف الناس إلى أنواع جديدة من المزروعات ووسائل جديدة. ولما كان الاتجاه العام في المملكة هو العناية بالزراعة فقد اهتم الإشكاليون بها اهتماماً كبيراً نظراً لحاجتهم للمال الضروري لبناء دولتهم، وكانت الزراعة أهم مواردهم، ويدل على ذلك ما أحدثوه من انقلاب في توزيع الملكية الزراعية عندما استولوا بالغلبة والاحتلال على كل الأراضي الزراعية في المناطق التي قاومتهم.

٤- المزروعات

لقد زرع الإشكاليون القمح والشعير والأرز والفواكه والخضروات، فتضمنت المحاصيل الحبوب كالشعير، والدخن، والعدس، والحمص، والعلف كالبرسيم، والنباتات الصناعية كالكتان، والقنب، والقطن، والأشجار المثمرة كالعنب، والتين، والبندق، بالإضافة إلى الخضار، أما المشمش وأشجار الزيتون ربما قدماً نسبياً في فترة متأخرة^١.

ويأتي على رأس المحاصيل الزراعية القمح والشعير، اللذان يعودان بأصليهما

(١) فرح (نعيم): ملامح تاريخ الفلاحين، العصر القديم، دار البعث للطباعة، دمشق، ١٩٩٣م، المجلد الأول، ص ٥٠٥.

(٢) رضايي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١. سايكس، المرجع السابق، جلد أول،

ص ٤٥٦. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10 . Adams, op, cit , pp 205,209.

إلى الشرق الأدنى، حيث تنمو هذه النباتات فيه بهيئة برية، وإلى جانب الشعير والقمح، وجدت نباتات أخرى منها الذرة والدخن والسمسم^١.

ولا شك أن القمح كان من الحاصلات المهمة في الدولة الإشكانية، وتشير الدلائل إلى ازدهار زراعة القمح منذ قرون، وإلى زيادة الإنتاج زيادة ملحوظة في تلك الفترة، بالإضافة إلى تحسين أنواعه، ولا أدل على ذلك من سعي البطالمة إلى إدخال القمح السوري والفرثي إلى مصر لتحسين صنفها منه^٢.

وكان الشعير من أكثر البذور زراعة في كل من بابل وعيلام وفارس، في حين زرع القمح إلى جانب الشعير وعلى مساحات أقل. وربما يعود ذلك إلى اعتماد السكان في فارس على الشعير والدخن والبازلاء بشكل رئيسي في غذائهم^٣.

أما الأرز فقد عرفته الحضارة الإيرانية ونقلته إلى العراق منذ العهد الآشوري وكثر استهلاكه في العصر الأخميني، وكان أصله من الشرق الأقصى (الصين)، ومنه انتشر في الهند، ويرجح أن الإيرانيين القدماء عرفوا زراعة الأرز بعد غزوهم للهند، ومنها انتقل إلى العراق^٤.

وإذا كانت المصادر لا تشير إلى زراعة الأرز إبان الفترة الإشكانية، ومدى الاهتمام به، وانتشار زراعته، لكنه بالتأكيد كان معروفاً، ويقف دليلاً على ذلك شهرة بابل وسوزة وباكتريا بزراعته خلال الفترة اليونانية^٥.

يعتقد أن زراعة الأرز بقيت مزدهرة في هذه الفترة فالتبدلات المناخية قليلة، وإذا كان الإيرانيون من نقل زراعته إلى المناطق المختلفة فهل جهلوا أهميته وأهملوا زراعته، خاصة أن سواد العراق كان المكان المناسب لزراعته، وهل يعقل أن

(1) خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٣. رضايي، كنجينه تاريخ ايران، جلد ششم، ص ٦٠١. كباديا، المرجع السابق، ص ٨٧.

(2) فرح، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٥٠٧.

3 Dandamaev, and Lukonin, op, cit, pp95-96.

(4) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(5) فرح، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٥٠٧.

يتخلّى الإشكانيون عن محصول تجاري قيم كالأرز؟ لا بد أنهم زرعوه وتاجروا فيه مع الدول التي لا تتوفر فيها الشروط المناسبة لزراعته، ثم ما دامت زراعته قد ازدهرت في الفترة اليونانية، فهل يعقل أنها اختفت بعدها؟.

كذلك شكلت الخضروات والفواكه مصدراً رئيسياً للغذاء في إيران حيث زرع الإشكانيون البصل والخيار والتفاح والرمان والمشمش. ومما يؤكد هذا الاتجاه وجود أماكن لتصنيع الخل والنبيد، حيث استهلكت هذه الأشياء إلى جانب الشعير في الغذاء اليومي^١.

إن كل هذه المحاصيل هي محاصيل المنطقة المتوسطة وهذا يدل على أنهم قد عرفوا كل أنواع المزروعات التي عرفها اليونانيون في سورية، أو البطلمة في مصر، وذلك لتشابه الظروف المناخية في المنطقة، وعليه عرف الإشكانيون ما عرفه اليونانيون، وربما زادوا عليه وحسنوا أنواعه.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الأراضي قد قسمت إلى نوعين حسب زراعتها، فاقترن النوع الأول على الحقول وهي التي تزرع بالحبوب وما شابهها من منتجات سنوية، والنوع الثاني هو البساتين وهي مخصصة لزراعة الأشجار المثمرة^٢، فما هي الأشجار المثمرة التي عرفت في تلك المرحلة من حياة الإنسان؟.

إن أهم وأقدم شجرة كانت النخلة، حيث أدرك الإشكانيون أهميتها، وقيمتها الغذائية وغناها بالفيتامينات والسعرات الحرارية الغذائية، وليس أدل على ذلك من صنعهم لشراب النمر الذي كان متداولاً على نطاق واسع^٣.

ومن المرجح أن الموطن الأصلي للنخيل هو العراق حيث ازدهرت زراعته في جنوب العراق، وشكلت مورداً اقتصادياً هاماً^٤، ولكن لم تكن الأشجار المثمرة

1 Andrei, op, cit, Volome 127, p256. Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp130-131. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

(2) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٨٠ - ١١٨٤.

(3) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص٢٥٦. خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص١١٧٣.

(4) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص٤٢٢ - ٤٢٣.

مقتصرة عليه ، فقد عرف التين والرمان والكروم والتفاح واللوز والتوت وغيرها من الأشجار المثمرة التي قدمت مورداً غذائياً إلى جانب المنتجات الزراعية الأخرى¹. وبالإضافة إلى كل ذلك، فقد عرفت أشجار الزيتون، ونباتات القطن التي عرفت منذ عهد سنحريب الآشوري²، وكان القطن يوصف بأنه الشجرة التي تحمل الصوف³.

وبالانتقال إلى غرس الأشجار المثمرة، فقد زرع الإشكانيون الكروم بشكل كبير في سوزة وبابل، فقد كان لشجرة الكرمة أهمية كبيرة بدليل وجود رسوم لها على جدران المعابد كممارسات طقسية، وأكثر من ذلك فقد عملوا على إدخال أنواع جديدة منه إلى البلاد⁴.

بالإضافة إلى ذلك، أدى اتساع مملكتهم وتنوع مناخها إلى تنوع حاصلاتها الزراعية وأشجارها المثمرة، وفي إشارة إلى نقل الإيرانيين لغراس الفستق إلى حلب، دليل على زراعة هذه الشجرة في بلادهم، وإلا لما عرفوا قيمتها وعملوا على زراعتها في الأماكن التي وصلوا إليها، وفي إشارة ثانية تشير بعض البرديات المصرية إلى زراعة الجوز والرمان والتفاح في مصر البطلمية، ومن الصعب التصور نمو مثل هذه الأشجار في مصر دون سورية والهضبة الإيرانية، وآسية الصغرى، خاصة أن نجاح زراعة هذه الأنواع يحتاج لمناخ مناسب يتوافر في الهضبة الإيرانية وسورية وآسية الصغرى، أكثر منه في مصر⁵. ومن ناحية أخرى، نظم الإشكانيون العمل الزراعي من خلال مسؤولي جباة الضرائب.

1 Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

(2) سنحريب الآشوري: هو ابن سرجون الثاني، حكم الدولة الآشورية بين عامي 705-681 ق م، ثبت أركان دولته وتوسع على حساب البابليين، فاحتل بابل وتوسع في سورية ووضع حداً للتوسع المصري فيها، بنى قصراً في نينوى، وقتل على يد أبنائه. غريال، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 1022.

(3) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 420-421. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10

4 Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

رضائي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص 601. فرح، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 507-508.

(5) فرح، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 508.

٥- الضرائب:

لا تقدم المخلفات الإشكانية من وثائق وآثار معلومات كثيرة عن النظام الضرائبي الذي كان سائداً في البلاد، وكل ما تركته وثائق نسا الاقتصادية، يعود إلى النظام المالي المنظم الذي وجد في أراضي الملك، كما شمل هذا النظام أراضي النبلاء، و المعابد، وحكام الحدود، وأراضي الولاة التي تعد أيضاً من أراضي الملك، وقد سجلت هذه الأراضي حسب الضريبة التي تجبى منها، وعليه فإن الضريبة الكبرى كانت على عاتق النبلاء، ومن ثم المعابد وهكذا حتى تصل إلى حكام الحدود^١.

وتشير هذه الوثائق إلى أن دفع الضريبة كان شخصياً؛ أي على الفرد أن يحضر بنفسه لتسديد الضرائب المترتبة عليه، كما أشارت الوثائق إلى المعفيين من دفع الضرائب لكنها لم تسمهم، ومما يلفت الانتباه في هذه الوثائق الإشارات إلى ضرائب جديدة لم تكن معروفة في العهد الأخميني وهي ضريبة الجمارك، فقد جنى الإشكانيون ضرائب على الواردات والصادرات مثلهم مثل اليونانيين^٢.

وقد تشابه النظام الضريبي بين اليونانيين والإشكانيين^٣، ومن المرجح أن الإشكانيين تأثروا بنظام اليونانيين الضريبي ووجدوه مناسباً لبلادهم فاعتمدوه، فكيف قام النظام الضرائبي اليوناني؟ وما الضرائب التي فرضوها؟

فرض اليونانيون مجموعة كبيرة من الضرائب لا يوجد لبعضها دلائل في الدولة الإشكانية، كضريبة الملح^٤، وكذلك نظم اليونانيون جباية الضرائب من خلال هيكل إداري متسلسل من الملك إلى محصل الضرائب وحمل كل واحد

(١) قدياني، المرجع السابق، ص ١٦٤. Andrei, op, cit, Volome 127, p259.

(٢) قدياني، المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦. Andrei, op, cit, Volome 127, p259.

(٣) قدياني، المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) ضريبة الملح؛ وهي أن يلتزم دافعوا الضرائب بشراء كمية من الملح سنوياً، وأن تدفع الجماعات ضريبة ما بهذا الاسم. العابد(مفيد)، تاريخ سورية في عصر السلوقيين، دمشق ١٩٩٣، دار شمال للطباعة والنشر، ص ٢٢٥.

منهم اسماً خاصاً به، فيأتي الملك على قمة الإدارة المالية فهو مالك البلاد ومصدر جميع السلطات، ويساعده في الإشراف على الشؤون المالية موظف كبير يسمى المشرف على الدخل، ويتبع هذا الموظف مندوبون في الأقاليم، ولا يعرف على وجه الدقة طبيعة المهام التي أوكلت إلى هؤلاء، هذا وإن كان يبدو قيامهم بالإشراف الدائم أو المؤقت على الأمور المالية في الأقاليم^١.

وقسموا الإدارة إلى قسمين: أولها: الموارد النظامية. كضريبة الفوروس^٢. وضريبة الانتصار أو الأكاليل^٣، وثانيها: الموارد الاستثنائية كضريبة الغنime الحربية ومصادرة أملاك المناوئين^٤.

أما الضرائب التي وجدت في الدولة الإشكانية فكان هناك مجموعة منها كضريبة انتقال الملكية الزراعية من شخص لآخر، وهذه الضريبة لا تشكل مورداً جيداً للمملكة لأن معظم سكانها لا يملكون صكوكاً بأراضيهم^٥.

وبالإضافة لذلك وجدت ضريبة على عائدات الأرض وهي المفروضة على الأرض، وما تغله من محاصيل، وكانت موارد الإشكانيين من عائدات الأراضي الزراعية كبيرة جداً، وكذلك فرضوا ضريبة الرأس وهي ضريبة شخصية؛ ولا تعرف نسبتها ولا نوعية الخاضعين لها، كما أنها اتخذت عدة تسميات، لكنها بالنتيجة تعطي المعنى نفسه كضريبة النفوس أو الأشخاص أو الرأس^٦.

(1) دياكونوف (أي، أم)، ليفشيتس (أ)، كتيبه اشكاني نسا، مترجم شهرام حيدر آباديان، جاب أول، تهران، ١٣٨٣، ص ٩٧. Bikerman, op.cit. PP109-110.

(2) الفوروس: وهي الرسوم التي كان على الوحدات الإدارية الخاضعة للملك أن تؤديها. Bikerman, op.cit, p106.

(3) ضريبة الانتصار أو الإكليل: وكانت هذه الضريبة في الأصل هدية طوعية مهداة من الجموع بمناسبة الأحداث السعيدة للملك وأفراد عائلته، أو للفائز بالألعاب الرياضية على شكل أكاليل وتيجان إجلالاً وإكباراً لانتصاراتهم. العابد، المرجع السابق، ص ٢٢٣-٢٢٤. 4 Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp132-134.

(5) دياكونوف، ليفشيتس، المرجع السابق، ص ٩٧.

(6) دياكونوف، ليفشيتس، المرجع السابق، ص ١٠٦، ١١١.

Andrel, op, cit, Volume 127, pp258-259

أما عن كيفية جمع الضرائب السابقة بشكل عام، فكان عن طريق الجباة المكلفين بمختلف الولايات وورد في أحد النقوش ذكر لجابين كانا يتلقيان تعليمات ملكية، ولا شك أنهما موظفان ملكيان، وإضافة إلى هؤلاء الموظفين الملكيين كانت الجباية أيضاً بواسطة متعهدين.

من ناحية أخرى، نظم الإشكانيون العمل الزراعي من خلال مسؤولي جباة الضرائب المحليين الذين شكل عملهم مصدراً أساسياً للملوك للتحضير للحرب، التي قدمت المزيد من العمال والثروات¹. فكانوا يكلفون الجباة بمراقبة الإنتاج، وتحديد حصة الدولة والمعبد، وذلك حفاظاً على حقوق كل من الفلاحين والدولة، وعليه كان معظم الجباة يعينون من طرف رجال الدين، وراعوا حالة المحاصيل السنوية، فخضت الضرائب في السنوات العجاف، وزادت في السنوات الخيرة².

وكانت جباة الضرائب عن طريق الموظفين الملكيين أفضل بكثير من نظام التعهد، فالموظف الملكي كان من جانب رجال الدين، وهذا ما يخفف العبء الواقع على الفلاح، أما نظام التعهد فيقوم على أن يدفع أحد المتنفذين الضرائب للدولة، ويقوم هو بجبايتها، وهذا بدوره يؤدي لوضع الضريبة التي يريدها المتنفذ، وبالتالي تتضاعف الضريبة ويكون الفلاح ضحيتها؛ لأن المتنفذ يُحصل الضريبة التي دفعها، والأموال التي يريد جمعها.

٦- تربية الحيوان:

كانت تربية الماشية من الأعمال الهامة إلى جانب الزراعة، فربى الإنسان في العهد الفرثي الأغنام والماعز والأبقار والخنازير والخيول و الجمال، كما رعى السكان الدواجن والأسماك أيضاً³، ولم تكن تربية المواشي محصورة بالوجهاء من المجتمع الفرثي بل تمكن من تربيتها وعلى اختلاف أنواعها الأحرار أيضاً⁴.

1 Garsoian, op, cit, pp571-572. Ball, op, cit, p23.

(2) دياكونوف، ليفشيتس، المرجع السابق، ص ١٠٩. قدياني، المرجع السابق، ص ١٩١.

3 Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp130-131.

(4) خداديان، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٨٤. رضايي، كنجينه تاريخ إيران، جلد ششم، ص ٦٠١.

ومما يجدر ذكره هنا هو أن الثروة الحيوانية كانت تؤلف أساساً مهماً في الحياة الاقتصادية عدا أهميتها في الشؤون الزراعية والمواصلات^١. ولكن مع ذلك لم يكن لمنتجاتها دور رئيسي في نظام الغذاء الفرثي^٢.

ولا تقتصر أهمية الحيوانات الأليفة (الثيران، والخراف، والدجاج، والبط، والإوز، والنعام)، على الغذاء من خلال توفير اللحم، والحليب، حيث استهلك الإشكانيون لحم الخراف أكثر من غيره، بل قدمت مواد أولية للحرف كمواد لتصنيع المنسوجات^٣.

وقد تركزت تربية الماشية في المروج وعلى السفوح الجبلية، وأحياناً كانت تربي في حظائر، وتتغذى على العلف، كالحبوب. وقد شغلت تربية الخيول حيزاً كبيراً من اهتمامهم؛ حيث ربوها في المنطقة الشمالية الشرقية، نظراً لطبيعة البلاد المساعدة على ذلك، وتوارثوا تربيتها عن الآباء والأجداد، وذلك بفضل الخدمات الكثيرة التي تقدمها لهم، سواء في الحرب والحمل والنقل والصيد والزراعة والدفاع^٤.

ولم تكن المراعي بحاجة إلى العناية كالمناطق الزراعية، فلم تحتج لأكثر من السقاية. هذا وقد نظمت العلاقة بين الرعاة وأصحاب القطعان، حيث كان الرعاة يتقاضون أجراً سنوياً مقابل عملهم، كما نظمت العلاقة بينهما في حال السرقة والإهمال ومهاجمة الوحوش للقطعان وما شابه ذلك من أمور. وكذلك تم تنظيم العلاقة بينهم وبين الفلاحين^٥.

قدياني، المرجع السابق، ص ١٩٤.

(١) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤١٨. خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٤.

2 Dandamaev and Lukonin, op, cit, pp130-131.

(٣) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٥٦. خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٤.

Adams, op, cit, pp 200-214.

(٤) خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٤ - ١١٨٥.

(٥) خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٨٤. دلو (برهان الدين): حضارة مصر والعراق، دار

الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٢٦٨.

وخضعت تربية الحيوان في الدولة الإشكانية إلى الضرائب كضريبة القطعان، ويُذكر نوعان من ملكية القطيع: الملكية التي لا تخضع للضرائب، أو الملكية المعفاة منها حسب الأمر الملكي، والقطعان الخاضعة للضرائب^١. ولا يعرف فيما إذا وضعت ضريبة على العبيد أيضاً أسوة بالضرائب التي فرضت على الدواب والأرقاء في الدولة اليونانية^٢.

1 George, H, Village Administration in the Roman Province of Syria Yale Classical Studies, New Haven , Vol 1, 1928, p155.

(2) العابد، المرجع السابق، ص ٢٢٥.